

نشأة اللغة



قبل الدخول الى اهم النظريات التي قيلت في نشأة اللغة كان لابد لنا من الوقوف على ماهية

اللغة وما يترتب عليه من التمييز بينها كمصطلح عام وبين (اللهجة) ، و (الكلام) .

فاللغة: (مجموعة من الاصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم ، وهي وحود ذهني متحقق في ذهن الجماعة الاجتماعية) .

اما **اللهجة:** (فهي جرس الكلام ، وايضا مجموعة من الاصوات يعبر بها قوم محدد بسياق اجتماعي واقتصادي وثقافي وهي موجودة في ذهن المجموعة المحددة من الناس) .

و**الكلام:** (هو الجانب التنفيذي للغة اي هو الوسيلة التي يذهب بها المتكلم الى الذهن ليختار الفاظ يعبر بها عن معنى معين) .



أهم النظريات التي قيلت في نشأة اللغة

• أولاً : نظرية التوقيف :

- يرى أصحاب هذه النظرية أن اللغة هبة من الله تعالى، ولا شأن للإنسان بوضعها ، وأوّل من قال بهذه النظرية كان الفيلسوف اليوناني هيرقليطس الذي رأى أن الأسماء تدل على مُسمّياتها بالطبيعة لا بالتواطؤ والاصطلاح، وأن هذه الأسماء قد أعطيت من لدن قوّة إلهيّة لتكون أسماء لمسمياتها .



• واستمرت هذه النظرية بعد ظهور الإسلام، بل ازدادت قوة بفضل آية قرآنية رأى معظم المفسرين أنها دليل على توقيفية اللغة ، وهي قوله تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها) ، وتابع عدد من علماء العربية المفسرين فيما ذهبوا إليه من القول بتوقيفية اللغة، منطلقين في ذلك من الآية القرآنية ذاتها، وأهمهم : ابن دريد في كتابه الاشتقاق، وابن فارس في كتابيه :
الصاحبي في فقه اللغة، ومعجم مقاييس اللغة .

• في العصر الحديث فقد انحسرت هذه النظرية نوعاً ما، إلا أنها لم تندثر نهائياً، ففي القرن الثامن عشر نادى بها المفكر الفرنسي دي بونالد، الذي رأى أن (اللغة ليست تواطئية من خلق الإرادة البشرية فالناس لم يتفقوا فيما بينهم على أن يكون ثمة لغة فكان هناك لغة الصريحة ينبغي له أن يعبر عنها إذن اللغة واجب وجود لمنشأ اللغة ذاتها، مما يفيد أن اللغة ليست
من عمل القوى البشرية .



- إنها من لدن الله (والحق أن ما ذهب إليه دي بونالد بقوله :) إن اللغة واجب وجود لمنشأ اللغة ذاتها (ليس فتحاً جديداً، فقد سبقه إليه السيوطي بقوله في كتابه المزهر :) لو كانت اللغات اصطلاحية احتيج في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابة يعود إليه الكلام) وبعد هذا العرض السريع لتاريخ هذه النظرية؛ يجدر بنا الوقوف عند قوله تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها) . ذكرنا أن معظم المفسرين ذهب إلى أن اللغة توقيفية، ودليل توقيفيتها هو هذه الآية ، وأخذ كلُّ منهم يفسرها بالشكل الذي يجعل من توقيفية اللغة أمراً لا محيد عنه، وتعددت الآراء وتشعبت في ماهية هذه (الأسماء) . فابن جني يرى أن (الله سبحانه علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية و الفارسية والسريانية والعبرانية والرومية وغير ذلك من سائر اللغات.



المآخذ والردود على هذه النظرية

أ لا يصحّ إذا كانت اللغة من عند الله تعالى وجود التضاد في اللغة (كالجون الذي يدلّ على - الأبيض والأسود) لأن هذا التضاد تناقض يتنافى والحكمة الإلهية، كما أنها لو كانت من عند الله لما كان للشيء الواحد أسماء متعددة وللإسم الواحد معان كثيرة . ج لو أن آدم عليه السلام أُعطي كل الأسماء والكلمات كما يرى بعض اللغويين لأعطي كلمات لم يُعرف معناها في ذلك العصر، كالحاسوب والطائرة وغيرها، ولكن لم تصلنا في لأخبار المنقولة كلمات كهذه .

الخلاصة: إننا لا نرفض هذه النظرية جملة وتفصيلاً، بل نرى أن التوقيفية إذا كانت موجودة فهي مقصورة على القدرة الكامنة التي وضعها الله في الإنسان، والتي سمحت له بوضع الأسماء .



ثانياً : نظرية المحاكاة

- ملخص هذه النظرية أن اللغة نشأت عن محاكاة الإنسان لأصوات الطبيعة المحيطة به، وأقدم الأقوال التي وصلتنا حول هذه النظرية كانت للفراهيدي وتلميذه سيبويه، فقد نقل لنا ابن جني في الخصائص ما نصّه: (قال الخليل كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدّاً، فقالوا: صرّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً، فقالوا: صرصر، وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على فَعْلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة نحو: النقران والغليان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال
- وتابعت هذه النظرية ظهورها في العصور الحديثة، فتبنّى العالم (وتني (ما ذهب إليه ابن جني بحرفيته تقريباً، إذ رأى (أن اللغة نشأت عن طريق محاكاة الإنسان للأصوات الطبيعية التي كان يسمعها حوله) ، وبالغ بعضهم في قيمة هذه النظرية كعبد الله العلايلي (الذي يزعم أن كلّ حرف من حروف الأبجدية العربية يدلّ على معنى خاصّ.



- الحقّ أن هذه النظرية فيها من المبالغة ما يجاوز حدّ المعقول، فلو كانت اللغة بكاملها محاكاة للطبيعة لما تعدّدت لغات العالم، ولكان للعالم لغةً واحدة لا غير . إلا أن هذه النظرية تحمل شيئاً من الصواب، فبعض الألفاظ تُعتبر صدئاً لأصوات الطبيعة كالحفيف والخرير والزفير والصهيل والعواء، كما أن بعض الألفاظ قد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدلالات في بعض الحالات النفسيّة، كالكلمات التي تعبّر عن الغضب أو النفور أو الكره، كما أنّه غداً معروفاً في العربية أن زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى .

الخلاصة: إننا لا نستطيع أن نردّ كلّ ألفاظ اللغة إلى محاكاة الطبيعة، كما أننا لا نستطيع أن نهمل هذه النظرية

إهمالاً تاماً، فهناك قسط لا بأس به من ألفاظ العربية يمتّ بصلة وثيقة إلى أصوات الطبيعة .



ثالثاً : نظرية التواضع الاصطلاح :

يرى أصحاب هذه النظرية أن اللغة اصطلاح وتواضع يتم بين أفراد المجتمع، ومن ثمّ ليس ألفاظ اللغة أية علاقة بمسمياتها . وأوّل من قال بهذه النظرية كان الفيلسوف اليوناني ديمقريطس الذي (اعتبر منشأ اللغة عملية تواطئية؛ لأن الاسم الواحد ذاته كثيراً ما يقبل عدّة مسميات، ولأنّ الشيء الواحد كثيراً ما يقبل عدّة أسماء أو قد يتبدّل اسمه ولا يتبدّل هو، وتوسعاً بهذا المبدأ انتهى ديمقريطس إلى القول بأن الأسماء تُعطى للأشياء من لدن الإنسان لا من لدن قوّة إلهية وعلى الرغم من سيطرة النظرة الدينية التوقيفية في المجتمع الإسلامي؛ فإن ذلك لم يمنع بعض اللغويين العرب من القول بالاصطلاح، وهذا ما يبدو جلياً من خلال قول ابن جنّي في

الخصائص: أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف



• وتابعت هذه النظرية في العصور الحديثة استمراريتها، حيث لاقت قبولاً عند الأب الروحي للدراسات اللغوية الحديثة فردينان دوسوسير، فهو يقرّر منذ البداية أن الرابط الجامع بين الدال والمدلول هو اعتباطي ويبرّر ذلك بقوله: (وحجتنا في ذلك إنما هي الاختلافات القائمة بين اللغات ووجود اللغات المختلفة ، ولكن دوسوسير ما لبث أن أقرّ بوجود شيء من العلاقة بين الدال والمدلول، إذ يرى أن) هناك بعضاً من ملامح الرابط الطبيعي بين الدال والمدلول ، ثمّ يرى أن الفرد ليس لديه (القدرة على تغيير أي شيء في علامة ما، وذلك عند ثبوتها وتمكنها في مجموعة لغوية

• هذه النظرية فإنها تعرّضت لاعتراضات عدّة، منها الاعتراض القائل بحاجتنا إلى لغة تكون وسيلة التخاطب حتّى نتمكّن من وضع لغة، وهذه الفكرة هي التي أشار إليها كلُّ من السيوطي ودي بونالد في العبارات التي اقتبسناها عنهما عند الحديث عن النظرية التوقيفية، كما أشار إلى الفكرة ذاتها العالم الألماني ماكس مولر الذي رأى أن



اللغة الإنسانية الأولى لم تكن نتيجة تواضع واتفق خلافاً لما ذهب إليه أصحاب النظرية التواطئية، إذ لو كان الأمر كذلك وهو ما تأباه طبيعة النظم الاجتماعية لوجب أن يكون في أيدي المتواضعين وسيلة للفاهم فيما بينهم، ولا يمكن أن تكون هذه الوسيلة؛ اللغة الصوتية؛ أن المفروض أن اللغة الصوتية هي موضوع التواضع .

الخلاصة: إن قسماً كبيراً من مفردات اللغة قد وُضع عبر الاصطلاح، فما تقوم به مجامع اللغة العربية لا يعدو أن يكون اصطلاحاً وتواضعاً، ولكن ذلك لا يعني أن اللغة كلها قد وُضعت على هذا

الأساس .

